

في سبيل الفهم

بقلم الرسام المصرى الشهير الاستاذ شعبان زكى
أعط طفلاً قرطاساً وقلماً فما أسرع ما يبدأ بالتخطيط ، وما أسرع ما يظهر على
رسمه وهو نفور . فخور بأن جهده الذى ترى دليل رغبة عنده فى التعبير عن غرض
له معلوم .

هذه الرغبة الجميلة عند الأطفال مهمة جد الإهمال عند الآباء . فهم يميلون إلى
اعتبار أن الوقت المبذول فى تعلم الرسم عبث وضياع
كان هذا الاعتبار سائداً فى العالم منذ نصف قرن حيث بدأت ظاهرة الفن
الايضاحى والفن الاعلاى تظهر فى عالمى التأليف والاتجار . ونقول — زيادة فى الايضاح —
إنه منذ خمسين عاماً لم تكن الصحف لتحتوى صوراً فنية اللهم إلا بعض رسوم ضئيلة
فى الاسبوعية منها ، كما كانت وسائل النسخ ركيكة باهظة التكاليف إلى حد جعل الناشرين
أنفسهم يفقدون الحماسة فى هذه السبيل .

أما اليوم فالحاجة ماسة على الدوام إلى الصور والرسوم — فى كل فرع من فروع
الحياة ولشتى الأغراض — بل إن أسباب هذه الحاجة لتطرد فى الزيادة على مر الأيام .



فالطفل الذى يشجعه عائلته على مزاولة الرسم — وهو صغير — واصل حتماً إذا هو
نابر — إلى درجة يجد نفسه قادراً بها على الدخول فى مضمار الحياة ، وأنه لمضمار
جليل الشأن فى هذا الزمان

لقد كان يقال دائماً إن الفنانين كالشعراء يولدون كذلك ولا يهتثون ! على أن الواقع
ليس هكذا على الدوام . صحيح أن فى الناس كثيرين ينشأون ذوى مواهب فنية تجعلهم
يبحثون فى الرسم بما لا يستطيعه غيرهم ممن لم يوتوا مواهبهم — ولكن التجارب قد
أثبتت أن الطالب غير الموهوب قد يفوق بالالتفات والجد أولئك الموهوبين — بل
وقد يصل — بطول الدرس — إلى حيث يحتل معهم أول الصفوف ، وقد يأخذ فيهم مركز
القيادة فى بعض الأحيان .

من الجائز المقبول اذن أن يقال : إن لآى طالب أن يتعلم الرسم . وليس يعوزه في هذا المطلب غير الرغبة في العلم (علم الفن) وأستاذ متمكن يهديه .

ولأن تستطيع أن ترسم أو تصور كل ما يعن لك مما تخيل أو ترى أو تحس ، أمر محبب كما لو كنت بحيث تستطيع العزف على الكمان أو العود أو المزمار — ولكنك لن تجد راغباً في سماعك كعازف ، إلا حين تكون القادر المجيد على العزف — وكذلك أنت لن تكون الرسام الكبير ما لم ترج بضاعتك في المعارض — أسواق الفنون



من كان ذا ولع بالموسيقى فواجهه أو واجب أولياً ، أمره أن يغذوه على الدوام بعذب النغم ، ومن كان مشغولاً بالرسم والتصوير فعليه أو على ذويه أن يرسلوه بين الخطوط والألوان ، وأن في العالم اليوم لشباباً كثيرين ليسوا من الأعلام المشهورين لكنهم يربحون — كرسامين موضحين أو مصممين في فن الاعلان مثلاً — من مائتي جنيه الى ثمانمائة في العام ، ومن بين الصفوف التي تضم هؤلاء الشبان يخرج الجهابذه الأعلام

ذلك شأن ناحية من الفن الجميل ، ونقصد بها فن الاعلان ، وإن مصر محرومة كل الحرمان — وحرمانها هذا هو الذي يدعو القادرين المخلصين أن يقوموا بالواجب مشفقين ، وهو الذي يحذوهم أن يقاوموا المحال في هذا السبيل



إن الرواج المحسوس في ميدان الصناعة والتجارة اليوم — ولا نقول في كل أنحاء الميدان — إنما هو نتيجة مباشرة لفن الاعلان . كما أن فن الاعلان مدين كذلك لهذا الميدان الذي وسعه بكل ما حوى من خطوط وألوان . وأنا لا ندرى أيهما الأبر على التمام ! فإن أحدهما — مستقلاً عن الآخر — لا يدر بما يدرانه مشتركين — فالتعاون بينهما كالتعاون في كل ما عدهما ، أصل الخير فيهما والاقبال .

قد يقول البعض إن المادة متلافة لكل فن — فاحتكأك الفن بالمادة في مثل هذا الميدان يقضى على روح الفن ولو بعد حين ١٠٠٠ ونقول نحن إن في فن الاعلان إعلاناً

تلفن تقرؤه الجماهير في يسر وفي كل غدو و رواح ، وفي فن الاعلان تحس هذه الجماهير
بالجمال والفن قبل أن تدرك منه الهدف المرسوم - يكون فن الاعلان عاملا في ترقية
الاذواق في البيئة التي ينتشر فيها بقدر ما هو عامل في ادخال المسرة بما ينطوى عليه
من بهجة الالوان الى جمال التأليف الى روح الابتكار

تلك المزايا فيه ملازمة له منذ كانت النفوس بطبيعتها مهيأة الى الرسم ، ولزامها
من يجعله أداة صالحة للرواج على مر الدهور

فاذا التفقت الى ذلك الفن الفنانون ، و اذا أدرك الممولون منا تلك المزايا الجسم ،
فما أيسر أن يوجد بمصر (فن الاعلان) . وما أسرع ما يصل الرقي أساليب الطباعة
و النشر في قطرنا العظيم ، وما أجل ما يدر من الخير على كثيرين

وبذلك تصبح مصر ، وهي لا تقل عن أمم الغرب التي أخذت تدين اليوم بفن
الاعلان ، في جميع مرافق الحياة - في الاقتصاد وفي الدين وفي السياسة وفي كل ما يخطر
بالبال ، حتى لقد باتوا يسمون هذا العصر بعصر الاعلان

فهل لفنانينا أن يعملوا معنا على نشر روح الفن من هذا السبيل ، وهل لممولينا
أن يدر كوا هذا الخير العاجل الوفير ؟

شعبان زكى

ضاحية المطرية (القاهرة)

أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكتبات المعروفة كتاب

العقائد



هذى طباع الناس معروضة

نخالطوا العالم أو فارقوا

« أبو العلا »

ذاع في فجر نهضة أوروبا أسماء ثلاثة من أساطين الكتاب ، عدوا — بحق — من أكبر مجددي عصر الآداب ، وهم « دانتى » خالق اللغة الإيطالية ، و « بترارك » و « بوكاتشو »

قد اشتهر دانتى بكتابه المرسوم برسالة الغفران La Comedie Divine وهو الذى احتذى فيه نهج أبى العلاء فى رسالته المعروفة بهذا الاسم ! واشتهر « بترارك » بشعره ونثره الذائعين وهما — عند الإيطاليين — فى أعلى طبقات البلاغة !

أما « بوكاتشو » فقد اذاع صيته ، وخلد ذكره . كتابه الفذ ، « ديكرون » وهو مجموعة قصص خالدة ، جمعت إلى رشاقة الأسلوب أقتنان الرواى وبراعة الساحر ، وكان لها أكبر أثر فى كتابة قادة الفكر فى أوروبا ، أمثال « مولير » و « فولتير » و « جوتيه » وغيرهم — وهم كثيرون — فترسموا خطاه وجعلوا من بعض هذه القصص ، نواة لمؤلفات رائعة كتب لها الخلود

العجوز وتقويمه السنوي

كان فى مدينة « بيزا » قاض مشهود له بالذكاء والكفاية ، ولكنه — رغم ذلك — على جانب عظيم من الضعف وخور العزيمة ، وكان بالغاً من الغنى أقصى حد ، واسمه

«ريشارد دي كوينزيكا» Richard de Quinzica وكان يظن أن سمادته لا ينقصها سوى الزواج ، حاسباً أن طبيعة جسمه لا تزال قادرة على أداء ما يتطلبه من فروض ، كما يؤدى عمل القضاء الذى يزاوله بحذق وكفاية ، لجأ فى طلب الزواج باحثاً عن زوج حائزة مزيى الجمال والشباب ، وقد كان — على العكس من ذلك — جديراً أن يتعد جهده عن هاتين المزيين لو عقل (١) !

اهتدى إلى طلبه ووجد الفتاة التى كان يتخيلها وهى « بارتولومى » ابنة السيد «لوتوجالدى».

وكانت على الحقيقة

من أجمل نساء بيزا وكان

وجهها — انقسامته وصباحته —

أجمل وجه فى عالم الحسن :

تمت حفلة العرس ، ودخل

القاضى العجوز على الأنسة

الشابة ، وبدأ معها التمرين

اخجوب ولم يكبد ينتهى منه حتى

خارت قواؤه وبلغ ضعفه أقصاء !



مارتولومى

أنجده وأنبك جسمه تمرين واحد ، فما العمل إذن ؟ حاول فى الغد أن يعرض ماقتد من قواد المنهوكه فتهاقت على شرب التيد وغيره من الأثربة التى تقوى الجسم .

فلم يجدده شئ ، من ذلك

وثمة بدت له حقيقة أمره وعرف مدى ضعفه وعجزه عن الرضاء بحق زوجه الفتاة ، فطفق يلتمس الحل للخروج من هذا المأزق الحرج ويعمل فكره وذكاءه للوصول إلى طريقة يستريحها ضعفه وعجزه عن زوجه . فاهتدى إلى طريقة فذة هى أن يدخل فى روعها أن فى السنة أياماً خاصة لا يجوز للزوجين فيها أن ينعما بلذات الزواج . وعثر

(١) ما أجمل قول المعرى فى هذا المعنى :

إذا كانت لك امرأة عجوز فلا تأخذ بها أبداً كما

فإن كانت أقل بها وجه فأجدر أن تكون أقل عاباً

على « تقويم » قديم من تلك التقاويم المطبوعة لتدريب الأطفال على القراءة، وزاد على تلك الأيام أياماً حتى كاد يجعل العام كله أعياداً ومواسم لا يجوز فيها للزوج أن يدنو من زوجته، حتى لا يقعا في إثم أو يرتكباً خطيئة. فقد أضاف إليها أيام الذكرى وأيام الصيام وأصوام الفصول الأربعة وأيام الآحاد النخ الخ .

حرمت زوجته من لذات الزواج فضاقت صدرها وضوعف سخطها ونقمتها ولم ينس الزوج أن يرفه عنها بوسائل مختلفة فكان — بين حين وآخر — يخرج معها إلى حقوله في الجبل الأسود، ويتزاهان معاً على شاطئ البحر

وفي ذات يوم ابتكر نزعة لطيفة لئلا قلبها سروراً وفرحاً . فاصطحبها معه إلى البحر لصيد السمك بعد أن أعد لهذا الأمر عدته — وأحضر سقيتين كبيرتين أحدهما له ولأصدقائه الأعزاء والآخرى لزوجته وصواحبها، وشرعوا في الصيد وطالب الهواء وأبحرت السفينتان مسافة بعيدة وصفا الوقت وعم الجبور فلم يشعروا أنهم أوغلوا في البحر وبعدوا عن الشاطئ كثيراً . وأنهم لكذلك إذ دهمهم قرصان معروف في ذلك الزمان بسطوته وشدة بطشه اسمه « باجامين دي مونيغوى » فقطع عليهم هذا السرور .

قصد القرصان إلى سفينة النساء وأجال بصره فيهم فلم يجد أجمل ولا أبداع من زوج القاضى، فأسرع إليها واختطفها (١) — على مرأى من الجميع — ثم عاد أدراجه فرحاً بظفره دون أن يتصدى له أحد .

صرخ النساء وولول الشيخ القاضى وبلغ به الأسى والغم من هذه المكارثة مبلغاً لا يوصف . حاول بعد ذلك أن يهتدى إلى مقر زوجته المخطوفة فلم يفلح

أما « باجامين » فقد بهره جمال الفتاة وسلب له، فحمد الله على ظفرة بهذا الكنز النادر المثال وسهر عليها رعاها ويطمئن قلبها ويستعطفها عليه ويثبها وجده وهيامه بها ويغريها عن زوجها الشيخ، حتى أقبلت عليه .

ولم يكد يحن الليل حتى قلب عليها جميع لذات الزواج — على اختلافها — ومرت

الأيام فلم ترمه اهتماماً بسبت ولا أحد ولا جمعة ولا عيد ، رأت كل الأيام والشهور عنده سواء
لأنها كلها صالحة لأداء التمارين المحبوبة ، لأنه لا يعرف يقويم زوجها السنوي ولا يدين بمثل
تلك الترهات !



فزاد حبها . حين علت أنها ارتاحت — إلى الأبد — من ذلك الكابوس الثقيل الذي طالما لحأ إليه زوجها ليتخلص به منها . وزاد هيامها بالفرصان حتى نسيت كل شيء .
سواء — فأصبحت لا تذكر « الشيخ » ، إذا مر بخاطرها — إلا مزدربة ناقصة .

أما الفاضل الشيخ ، فقد واصل البحث عنها دائماً غير وان ولا يائس من العثور عليها . حتى انتهى إلى مقرها بعد جهد . ولم يصل إليه إلا في المساء . ورأته الفتاة — مصادفة وهي مع عشيقها — فأخبرته بمجيء زوجها ورسمت له اللحظة التي يتبعها معه . وزادها ذلك شغفاً واتحالا . قضيا ليلة بهيجة ناعمين بالضم والعناق والتقبيل إلى الصباح .

فلما جاء زوجها إلى منزل الفرصان — في اليوم التالي — قابله الفرصان هاشا باشا وسأله عما يريد . فأخبره بقصته كلها . وختمها برسالة ضارعا إليه أن يرد له زوجته المحبوبة التي لا يستطيع السوا عنها . ووعده بأعطائه فوراً كل ما يريد من مال لاقتنائها . — الباعة ما بلغت تلك الغدية —

فالتفت إليه القردان ضاحكا وقال — :

« إنى أرحب بك ياسيدي ولا أكتفك أن عندى امرأة شابة . ولكنى أجهل أنها زوجك فلم يسبق لى شرف التعرف بك ولا بها . مذجات إلى — وبما أنى أرى من ملائك وسياك دلائل الشرف والنبيل فاقى أقدم لك ما أستطيعه من صنع . فأسمع لك برؤيتها . ولا شك أنها ستعرفك من النظرة الأولى إن كنت زوجها حقاً . ومتى اعترفت بذلك ورضيت بالعودة معك . سمحت لك بها عن طيبة خاطر . تاركاً لك حينئذ تقدير الغدية التي تسمع بها . وإنما يدغنى لى ذلك ما ألمحه على وجهك من دلائل الشرف .

ولكنها إذا لم تعترف بأنك زوجها . أو اعترفت بذلك ثم رفضت الذهاب معك . فأنك حينئذ ترتكب أشنع خطأ إذا أصررت على أخذها قسراً . على أنني لن أسمع لك بذلك . فهي شابة جميلة . ولشباب والجمال حكمهما النافذ . وليس فى قدرنى أن أفرط فيها أو أرغمها على شيء لا ترضاه .

تقاطعه « ريشار » قائلاً — :

كن على يقين أنها زوجي ، ومتى جمعتني بها . ظهرت لك حقيقة ما أقول واضحة ،
وسترى كيف ترتني على معانقة مقبلة متشبثة بعنق وذراعي . أتى على ثقة من ذلك
ولذلك تراني لا أنردد لحظة في قبول هذا الشرط

فقال القرصان — :

هذا حسن ، فاتبعني لترأها إذن !

وئمة أدخله القرصان في حجرة ثانية ونادى السيدة فحضرت كالكوكب المؤتلق
من الحجرة المجاورة ، وأشرق جمالها فلا الحجرة نوراً وبهجة . ثم حيت زوجها
تحية فائرة ، كأنها لم تعرفه ولا وأنه من قبل ، وكأنه لا يستحق أن تخاطبه بكلمة واحدة
ولا تسلم عما أصاب زوجها القاضي من الدهشة والخيرة من هذا البرود العجيب
الذي قابلته به ، وما كان يدور بخله لحظة واحدة أن يصدر مثله من مثلها —

على أنه لم يلبث أن تلبس لنفسه بعض العزاء فقال — : « لعل الآلام والأحزان
التي لازمتني منذ اختطفتم مني إلى اليوم قد غيرت شكلتي تغييراً تاماً ، فلم تعد تعرفني ،
وبعد أن مر بخاطره هذا الهاجس . التفت إليها قائلاً — :

« آه يا صاحبتى العزيزة ! »

« كم كلفتنى تلك النزهة التي أعدتها لك لادخل بها السرور على قلبك حين تمتعين
بالصيد في البحر ! »

« كم كلفتنى تلك النزهة من ثمن فادح من الحزن والآلم منذ تلك اللحظة المروعة التي
فقدتك فيها . آه ! كم كنت قاسية معنة في القسوة . إذ ترينى بعد هذا الغياب الطويل
قتصمتين ولا تنسين بحرف واحد ، كأنك ماعرفتنى في حياتك قط ؟ ، ألا ترجين
بزواجك ريشارد ، الذي جاء اليك ليرجعك معه إلى « بيزا » بعد أن يدفع عنك القدية
إلى ذلك الرجل الأمين ، الذي أبت عليه طيبة نفسه إلا أن يترك تقديرها كما أشاء ! »

نظرت إليه « بارتلومي » ، وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة ، ثم قالت له — :

« أيعينى حضرة السيد المحترم بهذا الكلام ؟ أنعم انظر فى جيداً ، فلا شك أنك واهم فى حسابك ، ولعلك قد خلطت بينى وبين زوجك ، فأنى لأذكر أنى رأيتك مرة واحدة قبل الآن !

فكر ملياً يا عزيزى فيما تقول . تثبت من رؤيتى جيداً فأنتك — إن فعلت — تحققت أنى لست صاحبك التى تعنيا !
معذرة ياسيدى إذا لم أنعم النظر فىك حين دخولى ، فقد كانت النظرة الأولى كافية للتثبت من أنك لست زوجى ! »

حار القاضى المسكين أمام هذا الإنكار الجرىء ، وأطرق اطراقة قصيرة ، ثم عن له أنها لا تتكلم هذا الكلام إلا أنها فى حضرة « باجامين ، القرصان ، اتقاء شره فطلب اليه راجياً أن يسمح له بالبقاء معها فى حجرة خاصة ، لينال من الحرية فى القول قسطاً أوفر .

وما كاداً يدخلان الغرفة التالية حتى جلسا ، وبدأ الشيخ الطيب القلب يخاطب زوجه ، وعيناه شاخصتان إلى وجهها ، وهى دائمة النظر إلى الأرض — :
« هيه باملكة قلبى ، يا حبيبتى ، يا زوجى المفضلة ، بأملى الحلو ، ألا ترالين جاهلة صاحبك « ريشارد » الذى يفديك بنفسه . خبرينى كيف نسينى بهذه السرعة ؟ هل وصل بى تغير الملاح إلى حد أن تجهلبنى ؟

تثبتى من رؤيتى مستثنية ، فأنى على ثقة من أنك تعرفينى بأدنى نظر .

لم تكذب السيدة تسمع قوله حتى أغرقت فى الضحك ، ولم تدع له فرصة لمواصلة حديثه ، بل قاطعته قائلة — :

« إنك لستكون بالغاً من السداجة أقصى حدودها إن حسبت أن ذاكرتى قد وصل بها الضعف إلى حد أن أنساك . فلا أعرف من أول وهلة أنك زوجى « ريشاردى كويتسيكا » على أنى إذا أغضيت عنك وتجاهلتك فلست حقيقاً أن تشكر منى ذلك ، وأنت الذى تجاهلتنى طوال تلك المدة التى قضيتها معك !

ولو أنك تحبني حقاً — كما تحاول أن تقنعني بذلك — أولو أنك تؤثرني كما تزعم — إذن لعاملتي،
المعاملة الجديرة بزواج يحب وزوجه — وهي فتية في ميعه الشباب وضرته، تحب أن
تنال حظها من متاع الحياة ولذاتها .

أفكنت تجهل إذن أن فتاتك في حاجة الى أمر يمنعها أن تطلبه منك حياؤها
الطبيعي المركب في بنات جنسها جميعا ؟

أنسيت تلك الطريقة المضحكة التي طالما لجأت إليها لتخلص بها دائماً من حاجاتي
التي لم تقضها ؟ فإذا كنت تفضل تعاليم القانون ونصره — على المرأة، فقد كنت
خطيئاً أن لا تقدم على الزواج !

ولكن، كيف أقول ؟

اني ما اعتبرتكم قاضياً قط، بل « خالق احتفالات ومواسم وأعياد » فقد ظهرت
لي براعتك وخبرتك الواسعة بأيام الصوم ومواقيت العبادة !

ألا فلتعلم يا سيدي أن دسا كرك وعمالك لو ظفروا منك بمقدار ما تجود به على من
أيام الراحة، أو لو أنك هجرت دسكرك كما هجرت حديقتي الصغيرة دون أن تعهدتها
بالزراعة لما استطعت أن تظفر في نهاية العام بحبة واحدة من القمح !

ولكن الله أكرم من أن يترك أرضي بلا حرث. لهذا شئت إرادته — سبحانه —
أن يتيح لي فرصة الوقوع بين يدي السيد « باجامين » الذي لا يعرف شيئاً مما تعرفه
من الأعياد والمواسم ولا يعنيه من أمرها شيء . أما أنت فقد رأيتك تواظب على
الاحتفاء بها والبطالة لاجلها بحماسة وغيره لم أجدهما في أنتى الاتقياء والزهاد : وتأني
إلا أن تتسك فيها مفضلاً حقوقها على حقوق

أما هذا فليس يعرف جمعة ولا سبتاً ولا عشية عيد ولا شيئاً من أصوام الفصول
الأربعة ولا أي عيد من أعيائك التي لا تنتهي، بل هو دائب ليل نهار يحرث أرضي
بلا ملل غير مقصر ولا وان، وقد قضينا في هذه الليلة قسطاً من التمرين المحبوب . إذن
فلا تنقم مني أن تراني راغبة في الإقامة طول حياتي مع هذا العامل المجد ! فإن لي ذوقاً
في الحياة وقد صممت على أن أكون عاملة مجدة مادمت شابة، مرجئة أمر الأعياد

والمواسم الى زمن الشيخوخة ! ألا إن خير ما تفعله الآن هو أن تعود ياسيدى
أدراجك على جناح السرعة !

فلترحل بلا واء ، ولتصحبك سلامة الله فى عودتك فانك لن تحتاجين فى الاحتفال
بأعيادك ومواسمك التى تبهج بها ، كما أننى لن أحتاجك فى أيام العمل التى انعم بها كذلك ،

صعقت هذه الصراحة الجرئية قلب « ريشارد » المسكين ، ولقد حدثته
نفسه — مائة مرة أن يقاطع كلامها فتعنه عن ذلك أنه فى منزل أجنبي ، فى منزل قرصان .
فراى من الحتم عليه أن يعتصم بالصبر ، فلما انتهت من خطبتها قال لها بلهجة المحب
العانى — :

« ماذا تقولين يا زوجى المحبوبة . وكيف تحكين ؟

خبرينى كيف نطقك بهذا الكلام الجرى . ؟

هل نسيت شرفك وشرف أسرتك ؟

أنى حدود الامكان أنك تفضلين الاقامة مع هذا الرجل وتكونين له خلية؟
وتعيشين طول عمرك فى أرجاس الخطيئة ، مؤثرة ذلك على أن تعودى إلى « ييز » ،
حيث تعيشين مع زوجك امرأة شريفة ؟

فكرى أنت أن « باجامين » اذا زهد فىك لم يتردد فى طردك عن يته ، أما أنا
فأظل وقيامك لا أنحول عن حبك ما حييت متى رجعت معى إلى « ييز » ،

فاذا حان موته فستظللين ربة البيت وسيدة مز . فيه ! أفيجدر بك أن تنسيك اننى

رغبة جامحة ولذة شائنة بجرمة شرفك وزوجك الذى يحبك أشد الحب ؟

كلا يا حبيبة قلبى ، يجب أن تكفى عن ذلك العزم الشائن وأن لا تترددى لحظة واحدة
فى العودة معى ، وأنى لأعذك — بعد أن عرفت رأيك الآن — أن أعمل على اشباع
نهمتك وفق ما تشتهين . سأهجر « تقويمى السنوى » الى الأبد مادام فى حجره مرضاتك
فهل تقبلين ضراعتى اليك ياربى الحسن ، وهل تقلمين عن عزمك وتذهبين مع
زوجك الذى لم ينسك منذ اللحظة التى اختطفوك فيها منه فأصبح نهب الاحزان
والآلام والضجر ! ،

فأجابته الزوج — :

« آلا — وبعد فوات الوقت — جئت تحدثني عن الشرف ، وقد كان على أبوي أن يعنيا بأمره من قبلي . حينما شرعا في تزويجي منك دون أن يستشيراني في ذلك ؟ فإذا كانا لم يعنيا بأمرى حينذاك فلست أعنى بأمرهما الآن !

أما أنت فهدى روعك ولا تشغل بالك بأمرى ولا بأمر أهلي ، على أنني مضطرة الى مصارحتك بالحقيقة كاملة :

اعلم أنني أشعر الآن كأنني زوج القرصان الشرعية ، وقد كنت أشعر وأنا معك في « بيزا » شعورا صادقا أنني لست لك إلا « خلية » أو أنني امرأة لم تضعها في بيتك الا للزينة ، كنت أشعر أنك تحترقني وتقعم قلبي بالآلام بلا شفقة باعراضك عني .

أما « باجامين » فهو رجل آخر ، هو الزوج الحق ، إنه ليضمني طول الليل بين ذراعيه ضما شديدا ويلاعبني بألف طريقة ، فاحكم بنفسك أيمن أن أندم بعد على فراق مثلك . وتقول : « إنك ستبدل جهدك في تلبية رغباتي ، فما أكثر شوقي الى تعرف ذلك السر الذي اهديت اليه فأصبحت قادرا على الوفاء بهذا الوعد ؟ هل أحالتك المصادفات الخارقة — بعد أن غبت عن عينك — من شيخ فان الى جبار قتي :

اذهب لطيتك واعمل بما أقول لك ، ولا تفكر إلا في الأيام القليلة الباقية لك في هذا العالم ، حتى يواريك القبر فيريحك من ضعفك واصفرارك وهزالك !

بقي لي أن أقول لك — مطمئنة الى تقرير ما أقول — : إن « باجامين » إذا طردني فلن يكون بيتك مأوى الذي اتطلع للعودة إليه ، فإن من العبث أن يجدفك الفاحص — بعد أن تعصر — قطرة واحدة من ماء الحياة تجري في جسمك كله . كما أثبتت لي التجربة التي اتاحت لي فرصة ممارستها شقاوتي وتعسّي ، إذن ، فاطرد من ذهنك كل فكرة من هذا النوع ، وأيقن أنني سأبحث عن ضالتي في كل مكان إلا مكانك ، على أنني لا أخشى أن ينصرف عني قلب « باجامين » فأنني عارفة بعواطفه وحقيقته شعوره نحوي . وأني لا كررك القول مرة أخرى أن فراقني قد بت في أمره ؛ وأني جديرة أن أعيش هنا . حيث لا نعرف للاعياد والمواسم وأيام الصوم معنى .

فارحل إذن ولا تضع من وقتك أكثر مما أضعت ، وإلا فاني أخرج مستعدياً عليك
القرصان ؛ فائلة له إنك تريد أن تقصرني على الذهاب معك !!!

ولما رأى السيد ريشارد « ما لحقه من إساءة » بارتلومي « أدرك خطأه الذي وقع فيه
إذ تزوج من فتاة صغيرة لا تناسب سنهما مطلقاً مع سنه ، وتفرق بينهما هاوية سحيفة هائلة
تفرج من الحجرة خجلاً مستخزياً ، يغم اليأس قلبه
ولما شيعه « باجامين » التفت صاحبنا متمماً بكلمات تدل على أنه قد وعى هذا الدرس
القاسي وأدرك شناعة الخطأ الذي وقع فيه .

وهكذا خرج « ريشارد » الطيب القلب ، بعد أن رأى فشل خطئه وانهمامه في
التأثير على نفس زوجته ، وكم كان يود أنه لم يضع في هذا البيت قدماً .

قصد الى « ميز » مسرعاً بلا ونا ، وقلبه تملؤم باليأس والحسرة لما منى به من الفشل
في سفرته ، ولم يلبث أن أنهك جسمه الحزن والألم اللذان سببتهما له خيانة زوجته !!!
أما مواطنوه فقد كانوا أبعد الناس عن الرثاء لما أصابه فاتخذوا من السخرية وسيلة
الى العبث به والضحك عليه ، فكانوا يشيعونه — في حينما ذهب — بقولهم — :

« الغراخيث » « السيد القاضى لا يريد الآن اعياداً »

وقد زادت هذه السخرية آلاماً على آلامه فلم يمش إلا أياماً قلانل انتهت بموته !

ولم يعلم صاحبنا « باجامين » بموت القاضى ، حتى تزوج من تلك السيدة التى كان
يقدر لها عطفها وإخلاصها ، ولم يغير عقد الزواج الشرعى من طريقة عيشهما شيئاً . فقد
واصل العمل في تعهد الحديقة الصغيرة وحرث أرضها بكل ما أوتيا من قوة ، وظلا
عائشين معاً طول عمرهما ، لا يعرفان شيئاً من أيام الصيام والاعیاد ولياليها !!!

تمت